

تفسير البحر المحيط

@ 26 @ صديقه خاصة ، قالوا على جهة التلهف والتأسف ، { فَمَا لَنَا مِنْ شَاْفِرِينَ * }
وَلَا مَدِيْقٍ حَمِيمٍ { . وقال ابن جريج : شافعين من الملائكة وصديق من الناس . ولفظة
الشفيع تقتضي رفعة مكانة عند المشفوع عنده ، ولفظة الصديق تقتضي شدة مساهمة ونصرة ،
وهو فعيل من صدق الود من أبنية المبالغة ونفي الشفعاء . والصديق يحتمل أن يكون نفيًا
لوجودهم إذ ذاك ، وهم موجودون للمؤمنين ، إذ تشفع الملائكة وتتصدق المؤمنون ، كما قال
: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين ، أو ذلك على حسب اعتقادهم في معبوداتهم
أنهم شفعاؤهم عند الله ، وأن لهم أصدقاء من الإنس والشیاطین ، فقصدا بنفيهم نفي ما يتعلق
بهم من النفع ، لأن ما لا ينفع ، حكمه حكم المعدوم ، فصار المعنى : فما لنا من نفع من
كنا نعتقد أنهم شفعاء وأصدقاء ، وجمع الشفعاء لكثرتهم في العادة . ألا ترى أنه يشفع
فيمن وقع في ورطة من لا يعرفه ، وأفرد الصديق لقلته ، وأريد به الجمع ؟ إذ يقال : هم
صديق ، أي أصدقاء ، كما يقال : هم عدو ، أي أعداء . والظاهر أن لو هنا أشريت معنى
التمني ، وفتكون الجواب ، كأنه قيل : يا ليت لنا كرة فنكون . وقيل : هي الخالصة للدلالة
لما كان سيقع لوقوع غيره ، فيكون قوله : { فَذَكُّونَ } معطوفاً على كرة ، أي فكونا من
المؤمنين ، وجواب لو محذوف ، أي لكان لنا شفعاء وأصدقاء ، أو لخلصنا من العذاب .
والظاهر أن هذه الجمل كلها متعلقة بقول إبراهيم ، أخبر بما أعلمه الله من أحوال يوم
القيامة ، وما يكون فيها من حال قومه . .
وقال ابن عطية : وهذه الآيات من قوله : { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ } هي
عندي منقطعة من كلام إبراهيم عليه السلام ، وهي إخبار من الله عز وجل ، تعلق بصفة ذلك
اليوم الذي وقف إبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أن لا يخزي فيه . انتهى . وكان ابن
عطية قد أعرب { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ } بدلاً من { يَوْمَ يُبْعَثُونَ } ، وعلى هذا لا
يتأتى هذا الذي ذكره من تفكيك الكلام ، وجعل بعضه من كلام إبراهيم ، وبعضه من كلام الله ،
لأن العامل في البديل على مذهب الجمهور فعل آخر من لفظ الأول ، أو الأول . وعلى كلا
التقديرين ، لا يصح أن يكون من كلام الله ، إذ يصير التقدير : ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا
بنون . والإشارة بقوله { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً } إلى قصة إبراهيم عليه السلام ومحاورته
لقومه . { وَمَا كَانَ أَكْثَرُ رُحْمًا } : أي أكثر قوم إبراهيم . بين تعالى أن أكثر قومه
لم يؤمنوا مع ظهور هذه الدلائل التي استدل بها إبراهيم عليه السلام ، وفي ذلك مسلاة
للرسول صلى الله عليه وسلم) في تكذيب قومه إياه عليه السلام . .

({ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ * الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * قَالُوا أَزُوقُكَ * وَاتَّبِعَكَ الْإِلَهُ * قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أُنَا بِطَارِدٍ * الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أُنَا إِلَّا نَذِيرٌ * قَالُوا لَنْئِمَ لَّسَمٌ تَنْتَه * يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ * قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُوكَ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا * وَنَجِّنِي وَمَنْ مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلِ * قَالُوا لَنْئِمَ لَّسَمٌ أَغْرَقْنَاهُ * بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ * وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنْ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ * الْعَالَمِينَ * أَتَيْتُكُمْ بِرَبِّعٍ آيَةٍ * تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ * بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا السَّادِي صلي